

تاج العروس من جواهر القاموس

وأَدْرَكَ الشَّيْءَ أَيْضاً : إِذَا فَنِيَ حَكَاهُ شَمِرٌ عَنِ اللَّيْثِ قَالَ : وَلَمْ أَسْمَعْهُ
لِغَيْرِهِ وَبِهِ أَوَّلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : " بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ " أَيْ فَنِيَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ
قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَمَا عَلِمْتُ أَحَدًا قَالَ : أَدْرَكَ
الشَّيْءَ : إِذَا فَنِيَ فَلَا يُعَرَّجُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ وَلَكِنْ يُقَالُ : أَدْرَكَتِ الثَّيْمَارُ :
إِذَا بَلَغَتْ إِزْنَهَا وَانْتَهَتْ نَضْجُهَا . قُلْتُ : وَهَذَا الَّذِي أَنْكَرَهُ الْأَزْهَرِيُّ عَلَى
اللَّيْثِ فَقَدْ أَثْبَتَهُ غَيْرٌ وَاحِدٍ مِنَ الْأَثِمَّةِ وَكَلَامُ الْعَرَبِ لَا يَأُوبَاهُ ؛ فَإِنْ
انْتَهَاءَ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ فَإِذَا قَالُوا أَدْرَكَ الدَّقِيقُ فَبأي شَيْءٍ يُفَسَّرُ ؟
أَيُّقَالُ إِنَّهُ مِثْلُ إِدْرَاكِ الثَّيْمَارِ وَالْقِدْرِ . وَإِنَّمَا يُقَالُ انْتَهَتْهُ إِلَى آخِرِهِ
فَفَنِيَ قَالَ ابْنُ جِنِّي فِي الشَّوَادِ : أَدْرَكَتُ الرَّجُلَ وَأَدْرَكَتُهُ وَأَدْرَكَ الشَّيْءَ
: إِذَا تَتَابَعَ فَفَنِيَ وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى : " إِنَّهَا لَمُدْرَكُونَ " وَأَيْضاً
فَإِنَّ الثَّيْمَارَ إِذَا أَدْرَكَتْ فَقَدْ عُرِضَتْ لِلْفَنَاءِ وَكَذَلِكَ الْقِدْرُ وَكُلُّ شَيْءٍ
انْتَهَى إِلَى حَدِّهِ فَالْفَنَاءُ مِنْ لَوَازِمِ مَعْنَى الْإِدْرَاكِ وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ تَفْسِيرُ
الْحَسَنِ لِلآيَةِ عَلَى مَا يَأْتِي فِتْأَمَّلاً . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : " حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا
فِيهَا جَمِيعاً " أَمْلَأَهُ تَدَارَكُوا فَأُذْغِمَتِ التَّاءُ فِي الدَّالِ وَاجْتَلَبَتِ الْأَلِفُ
لِيسْلَمَ السَّكُونُ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : " قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ " وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ بَلْ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي
الْآخِرَةِ " قَالَ الْحَسَنُ فِيمَا رَوَى عَنْهُ : أَيْ جَهَلُوا عِلْمَهَا وَلَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ
مَنْ أَمَرَهَا كَذَا فِي النَّسَخِ وَفِي بَعْضِ الْأُصُولِ فِي أَمَرِهَا قَالَ ابْنُ جِنِّي فِي
الْمُحْتَسَبِ : مَعْنَاهُ أَسْرَعَ وَخَفَّ فَلَمْ يَثْبُتْ وَلَمْ تَطْمَئِنَّ لِلْيَقِينِ بِهِ قَدَمٌ .
قُلْتُ : فَهَذَا التَّفْسِيرُ تَأْوِيلٌ لِمَا نَقَلَهُ شَمِرٌ عَنِ اللَّيْثِ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ . قَرَأَ
شُعْبَةُ وَنَافِعٌ " بَلْ ادَّارَكَ " وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو " بَلْ أَدْرَكَ " وَهِيَ قِرَاءَةٌ
مُجَاهِدٍ وَأَبِي جَعْفَرٍ الْمَدَنِيِّ وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ " بَلَّيْ
أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ " ؟ يَسْتَفْهِمُ وَلَا يُشَدِّدُ فَأَمَّا مَنْ قَرَأَ " بَلْ ادَّارَكَ " :
فَإِنَّ الْفَرَاءَةَ قَالَ : مَعْنَاهُ لُغَةٌ فِي تَدَارَكَ أَيْ تَتَابَعَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ
يُرِيدُ بِعِلْمِ الْآخِرَةِ تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ وَلِذَلِكَ قَالَ : " بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا
بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ " قَالَ : وَهِيَ فِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ أَمَّ تَدَارَكَ وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ
بَلْ مَكَانَ أَمٍّ وَأَمٍّ مَكَانَ بَلٍّ إِذَا كَانَ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ اسْتَفْهَامٌ مِثْلُ

قَوْلِ الشَّاعِرِ : .

فوالله ما أدري أسلامي تغوّلت ... أم اليوم أم كل إلي حبيب
مَعْنَى أَمْ بَلْ وَقَالَ أَبُو مُعَاذٍ النَّحْوِيُّ : وَمَنْ قَرَأَ : " بَلْ أَدْرَكَ " و
بَلْ أَدْرَكَ " فمعناها واحدٌ يَقُولُ : هم علماءُ في الآخرةِ كقوله تَعَالَى :
أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا " ونحو ذلك قال السدّيُّ - في تَفْسِيرِهِ -
قال : اجْتَمَعَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ومعناها عنده أي عِلْمُوا فِي الْآخِرَةِ أُنْ
الذي كانوا يُوعَدُونَ بِهِ حَقٌّ وَأَنْشَدَ لِلْأَخْطَلِ : .
وَأَدْرَكَ عِلْمِي فِي سَوَاءَةٍ أَنْزَهَا ... تُقِيمُ عَلَى الْأَوْتَارِ وَالْمَشْرِبِ
الكَدْرِ